أمّ الشرّور، الجزء الثاني

(الكبرياء والعُجْب)

المتروبوليت سابا (اسبر)

خطر العُجْب أنّه حيّةٌ برؤوس كثيرة، كلّما قطعت رأساً لها، نبت رأس آخر. وهو داء يندسّ في كلّ شيء بارتياح، كما ينساب ضوء الشمس، بصمت، إلى كلّ مكان. فإذا صمتُ افتخرتُ بصومي، وإذا قمتُ بعمل صالح مدحتُ نفسي، وأخبرتُ بما فعلت، لأحصل على المديح. قد أصمتُ في نقاش أو حوار، لا عن تواضع وإصغاء، بل لألفت النظر إليّ، بغية الإلحاح عليّ بالكلام!

تغذّي عقدُ النقص العُجْب. فالإنسان المحتاج إلى اهتمام وعاطفة ورعاية، يطلبها في غير مكانها، فيلجأ إلى إبراز نفسه وتأكيد وجودها بجميع السبل المتوفّرة. وقد يصل الأمر به إلى مخالفة السائد والمتعارَف عليه من أجل أن يلفت الأنظار فقط. أليس في "صرعات" الأزياء والتجميل وتغيير المظهر، "اللوك"، لفتاً للأنظار، وتأكيداً لوجود الذات، وصرخةً مخفية تقول: "أنا هنا"؟ ألا يشوِّه بعضهم منظرَه، بغية الحصول على لفت الأنظار، ولو بطريقة سلبيّة؟ ما سبب القباحة التي تظهر في تغيير الموضة من حين إلى آخر؟

تبدأ الكبرياء باكتمال العُجْب، وتنمو لتزدري القريب، وتتبجح بالذات بوقاحة، وتثني عليها، وتهرب من الانتقاد أو التوبيخ، وترفض سماع ما لا تريد؛ وتكتمل برفض الله ومعونته، والاكتفاء بالذات وقدراتها، فتتشبّه بالشياطين.

بقدر ما تتجذّر الكبرياء في الإنسان، تكثر أمراضه الروحيّة والنفسيّة. وتصبح حاجته إلى الراحة والسلام أكثر حدّة.

تحارَب الكبرياء والعُجْب بتذكّر الخطايا والنقائص والعيوب. افحص ضميرك يوميّاً، لتدرك عدم كمالك. اقبلْ ملاحظات من يحبّونك، وعندما

تتلقّى نقداً قاسياً أو توبيخاً، راجع ذاتك على ضوئه لترى مدى صحّته، خاصّة، إذا أتى من صديق أو محبّ. لا شيء ينمّي فينا الكبرياء كنسيان النقائص والخطايا.

قارن ذاتك بالذين هم أفضل منك، أو سبقوك في طريق الفضيلة. عاشر القدّيسين لتعرف أنّ الطريق أمامك لايزال طويلاً. انتبه إلى الغضب فهو علامة واضحة. أكّدْ ذاتك في أعمال المحبّة، بدل التعالي والتشاوف.

تعلّم من الطبيعة. الأشجار الكثيرة الثمر تكون منحنية إلى الأرض، أمّا غير المثمرة فتشمخ متعالية نحو السماء. والأرض الواطئة تقتبل الأنهار والسواقي، فتخصب وتثمر وتعطي بسخاء.

أثمرْ فضائلَ وأعمالاً صالحة لتقضي على عقد النقص التي فيك. اعرف ذاتك واقبلها كما هي، لتنطلق براحة نحو تحسينها. تصالح مع تاريخك، لتتمكن من رؤية الأمور على حقيقتها، بصفاء، فتترقى إنسانيّاً وروحيّاً. انسَ عُقَدَك بممارسة أعمال المحبّة. وقارن وضعك، من حين إلى آخر، بمن هم أقلّ منك، لتتعلّم الشكر والرضى.

عاشر الإنجيل وافحص نفسك على ضوء وصاياه، فتكتشف كمّ الرذائل المعشّشة في داخلك. حاسب نفسك، واجعل المسيح مثالك، تنسَ الكبرياء وتحبّ التواضع، وتجد السلام الذي تنشده.